[367] المسلمون حولهم في كل مكان يستمعون إلى أحاديثهم ويأخذون منهم معالم دينهم، وكان الحديث يوم ذاك يدور في أندية المسلمين عن صفين، والجمل، والفتنة في عصر عثمان، وفي كله ذم لامية، وعن الفتوح في عصر الخليفتين، وجل ما فيه من المدح لغير أمية، ويتبارى أصحاب الرسول في ذكر غزواته وحروبه، وتعذيب قريش إياهم، وهنالك تشخع النفوس، وتستمع إلى الحديث بإجلال وإكبار. والحديث هذا كما ذكرنا كله مجد لهاشم، وفي جله ذم لامية، فإنهم كانوا يذكرون للناس (247) غزوة بدر، وكيف قتلوا جد معاوية وخاله وأخاه وغيرهم من أفراد أسرته، وكيف سبوا فيها من سبوا من أهله وذويه، ويذكرون غزوة أحد، وكيف بقرت عند عن كبد حمزة ولاكته، وكيف نادى أبو سفيان فيها: أعل هبل، وينشدون شعر حسان في هند، وما هجاها به، وما كانوا يغمزون من نسب معاوية. ويذكرون إسلام أبي سفيان وبنيه، وكيف ألف النبي قلوبهم على الاسلام بالمال في حنين، ويذكرون أن أبا سفيان لم يكن مخلصا في إسلامه، فقد قال بعد إسلامه: لو عاودت الجمع لهذا الرجل. وقال في حنين: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر. وقال يوم اليرموك حين رأى فرار المسلمين: إيه بني الاصفر ! وعندما ركبهم المسلمون: ويح بني الاصفر ! وأنشد: وبنو الاصفر الكرام ملوك ال * روم لم يبق منهم مذكور كل هذا يجري في سلطان معاوية والعربي في الجزيرة كان لا يعنى بشئ عنايته بالتغني بأمجاد القبيلة، ينفق ما عز وغلا في سبيل نشر مآثرها، وهذا ما لم يمح أثره الاسلام، وإنما خففه في نفوس النزر اليسير من معتنقيه، ولم يكن معاوية من ذلك النزر اليسير، فإنه لم يتطبع بالخلق الاسلامي في مدة مكثه _____ يقصد من العقبيين الانصار الذين بايعوا الرسول في العقبة بمنى قبل هجرة النبي إليهم، ويقصد من شغب أبيه عليهم، خلافه لهم يوم سقيفة بني ساعدة وسبقه إلى بيعة أبي بكر يومذاك. (247) ولولا تحديثهم بكل ذلك لما انهت الينا أخبار تلك الغزوات بتفاصيلها.

_____